

تقرير "الجروح الخفية INVISIBLE WOUNDS" تأثير ٦ سنوات من الحرب على الصحة العقلية للأطفال السوريين

حسب تقرير مؤسسة إنقاذ الأطفال Save the Children organization بتاريخ ٢٠١٧/٣. أعاد ترتيب النصوص باللغة العربية بتصريف: الدكتور ملهم زهير الحراكي، معالج نفسي للأطفال والمراهقين.

- مقدمة:

في خلال السنوات الست الماضية اختبرَ الأطفال في سوريا القصفَ والجوع. ورأوا أصدقاءهم وعائلاتهم يموتون أمام أعينهم أو يُدْفَنون تحت أنقاض منازلهم. شاهدوا دمار مدارسهم ومستشفياتهم، وحُرموا من الطعام، والأدوية، والإغاثة الحيوية، وانسلخوا عن عائلاتهم وأصدقائهم لدى فرارهم من القتال. علماً أن الست سنوات تلك خَلَقَت أكبر الأزمات الإنسانية منذ الحرب العالمية الثانية.

مع كلِّ يوم تستمرّ فيه الحرب، تُسبِرُ أعماقٌ جديدةٌ لم يكن بالإمكان تصوّرَها في السابق من العنف ضدّ الأطفال، وانتهاكات القانون الدولي من قبل أن يعرفوا ما إذا كان هذا اليوم هو يومهم الأخير، وهو بحد ذاته عبءٌ هائل ليتحمّله طفلٌ يتوقّع يوماً نهاية حياته بطريقة أو بأخرى^١.

ثمة ما لا يقلّ عن ثلاثة ملايين من الأطفال السوريين دون سنّ السادسة، لا يعلمون أيّ شيءٍ سوى الحرب^٢، وملايين آخرون كبروا في ظلّ الخوف من شبح النزاع. إنهم الجيل المقبل الذي سيعوّل عليه إعادة بناء بلده المُدمّر، ويدخلون في معادلة مستقبلهم ومستقبل سوريا نفسه. لكنّ المخاطر على نفوس الأطفال خصوصاً وبنيتهم الشخصية بلغت حدّها الأقصى. فقد كشفت الدراسات حول الصّحة النفسية للأطفال اللاجئين السوريين عن مستوياتٍ فظيعة من الصدمة والكره النفسي. وما يُعرَف عن الأطفال الذين ما يزالون موجودين داخل سورية قليلٌ جداً، علماً أنّ واحداً من أصل كلّ أربعة منهم معرّض حالياً لخطر تطوّر اضطراب من اضطرابات الصّحة النفسية^٣.

"الأطفال مُحطّمون نفسياً ومتعبون. فعندما نقومّ بالنشاطات كالغناء معهم، لا يستجيبون على الإطلاق. ولا يضحكون كما قد يفعلون عادةً. ويرسمون صوراً لأطفال يُذبّحون في الحرب، أو دبابات، أو الحصار ونقص الغذاء".
أقوال معلّم في بلدة مضايا المحاصرة لمؤسسة إنقاذ الطفل

^١ وأثناء تدقيق هذا المؤلف ووضع اللمسات النهائية تتابع المأساة السورية فصولها وتستكمل حلقاتها بمجزرة الكيماوي الجديدة في خان شيخون بتاريخ ٢٠١٧/٤/٤، والذي راح ضحيتها أكثر من ١٠٠ شهيد، قسم كبير منهم من الأطفال.

^٢ مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (٢٠١٧م) لمحة عامة عن الاحتياجات الإنسانية - الجمهورية العربية السورية،

https://www.humanitarianresponse.info/system/files/documents/files/2017_syria_hno_2.pdf.

^٣ مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (٢٠١٦م) لمحة عامة عن الاحتياجات الإنسانية - الجمهورية العربية السورية،

http://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/2016_hno_syrian_arab_republic.pdf

- تقرير مؤسسة إنقاذ الأطفال:

كشفت تقريراً جديداً من مؤسسة إنقاذ الأطفال Save The Children عن أزمة الصحة النفسية التي يعانيها الأطفال المحاصرون في سوريا، فيما تقترب الحرب من نهاية عامها السادس^٤. أجرت المنظمة وشركاؤها السوريون مقابلاتٍ مع أكثر من ٤٥٠ طفلاً، ومرافقاً، وراشداً عبر سبع محافظات في سوريا، في إطار تقريرها "الجروح الخفية"، وهي أكبر دراسة من نوعها أجريت في خلال مسار النزاع. ووجدت أنّ الكثير من الأطفال يعيشون في حالة من الخوف شبه الدائم، ويعانون الهلع من جرّاء القصف، والغارات الجوية، والعنف المستمرّ، مع ما يترتّب عن ذلك من عواقب نفسية وخيمة.

- الضغط أو الكرب النفسي السمي:

وأشار خبراء الصحة النفسية الذين تمّت استشارتهم من أجل إعداد هذا التقرير إلى أنّه أظهر أنّ الأطفال يعانون حالة تُسمّى "الضغط أو الكرب النفسي السمي أي المفرط toxic stress"، ويمكن تعريفه على أنه الشكل الأكثر خطورة من الاستجابة للضغط، الذي قد يحصل عندما يختبر الأطفال محنةً أو كرب قوي، أو متكرّر، أو مطوّل بدون دعم كافي من البالغين. مثل العنف الشديد الذي يحدث في النزاع السوري^٥. والاستجابة المستمرة للضغط النفسي السام قد تؤثر تأثيراً يدمر مدى الحياة على صحّة الأطفال النفسية والعاطفية والاجتماعية والجسدية والنمو على حد سواء. فالمحن الشديدة تؤثر حتى على التطور الصحي للأطفال وأداؤهم الوظيفي في حياتهم.

- علامات الضغط النفسي عند الأطفال:

ونتيجة للتعرّض المطوّل للحرب، والضغط النفسي، وعدم اليقين، يعيش الكثير من الأطفال في حالة من "الضغط النفسي السام". ويخلف ذلك آثاراً مباشرة وضارة إلى حدّ كبير على الأطفال، بما في ذلك الزيادات في حالات التبول في أثناء النوم، وإيذاء النفس، ومحاولات الانتحار، والسلوك العدائي أو المنسحب. وإذا بقيت النتائج الطويلة المدى من دون معالجة، من المرجح أن تتفاقم أكثر فأكثر، فتطال صحّة الأطفال النفسية والجسدية لبقية حياتهم. وسيكون ذلك تأثيراً مدمراً على مستقبل سوريا ما لم يتمّ اتخاذ تدابير بهذا الصدد الآن. فبعد ستّ سنوات من الحرب، أوشكنا على الوصول إلى نقطة اللاعودة، حيث قد يكون التأثير على السنوات التكوينية للأطفال ونموهم كبيراً للغاية لدرجة قد يصبح معها الضرر دائماً ولا عودة منه. وإنّ خطر ضياع جيلٍ بسبب الصدمة والضغط النفسي الشديد لم يكن قطّ أكبر ممّا هو عليه الآن.

- الحياة مع الكوابيس:

العديد من الأطفال لديهم كوابيس ورعب ليلي وصعوبة في النوم، لخوفهم من ألا يستيقظوا صباحاً نتيجة قصف منازلهم. إنّ الحرمان من النوم المطوّل مؤذي بشكل كبير للصحة الجسدية والعقلية للأطفال، ويرفع من خطورة إصابتهم باضطرابات نفسية مرتبطة بالقلق النفسي والكآبة واضطراب

^٤ INVISIBLE WOUNDS: The impact of six years of war on the mental health of Syria's children. Save the Children organization. 3-2017

^٥ مركز الطفل النامي، جامعة هارفرد،

<http://developingchild.harvard.edu/science/key-concepts/toxic-stress/>

شونكوف وغاردنر (٢٠١٢)، The Lifelong Effects of Early Childhood Adversity and Toxic Stress، الأكاديمية الأميركية لطب الأطفال.

ثنائي القطب واضطرابات المزاج واضطراب فرط الحركة وتشتت التركيز والانتباه. إضافةً إلى الأمراض الجسدية نفسية المنشأ كالسمنة والداء السكري وأمراض الأوعية القلبية وحتى الموت الباكر.

ظهرت آثار العبء النفسي المتواصل على الأطفال من خلال: التبول في أثناء النوم، والتبول اللاإرادي في الأماكن العامة، وتعثر الكلام، وفقدان الأطفال تمامًا للقدرة على التكلم، وتزايد العدائية وتعاطي مواد الإدمان. وتفقد المجتمعات المحلية والأخصائيون أيضًا عن ازدياد حالات إيذاء النفس ومحاولات الانتحار بين الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم ١٢ سنة.

محمد، عامل إغاثة مع "شفق" شريكة مؤسسة إنقاذ الطفل في إدلب: "أتحدث معكم من منطقة قد يموت فيها الناس في أي لحظة، وانعدام الأمان والأمن هذا يؤدي إلى الكثير من المشكلات النفسية لدى الأطفال. فنحن نلاحظ أنهم مصابون بالضغط النفسي دائمًا ويرتعدون لدى سماع أي صوت غير مألوف، إذا تحرك كرسي أو أغلق الباب بقوة، وذلك بسبب خوفهم من صوت الطائرات والقذائف. ينعزل الأطفال بشكل متزايد ولا يحبون المشاركة في نشاطاتنا، ونرى لدى الأطفال الصغار الكثير من حالات التبول اللاإرادي."

وقد تشكل مثل هذه العوارض علامة "للضغط النفسي السام" لدى الأطفال الذي يصفه الخبراء باعتباره أخطر أشكال الاستجابة للضغط النفسي التي قد يختبرها الطفل.

الكسندرا شين، أخصائية في حماية الطفل والصحة النفسية في جامعة هارفرد: "صحيح أن الأطفال قادرون على التكيف، إلا أن التعرض المتكرر للأحداث الصدمية الشديدة التي يختبرها الكثير من الأطفال السوريين يضعهم في خطر كبير يتمثل في العيش في حالة من الضغط النفسي السام." "من المرجح أن يؤثر ذلك تأثيرًا مدمرًا يدمر مدى الحياة على الصحة النفسية والجسدية لهؤلاء الأطفال، فيعيق نمو الدماغ وأعضاء أخرى، ويزيد من خطر أمراض القلب، وتعاطي مواد الإدمان، والاكئاب، وغيره من اضطرابات الصحة النفسية في سن الرشد."

- تدمير الطفولة:

كشفت الأبحاث كيف أدت الحرب إلى تدمير الطفولة. فقد قال حوالي نصف الأطفال الذين جرت مقابلتهم إنهم لا يشعرون بالأمان في المدرسة أو عندما يلعبون في الخارج. وفي المقابلات ومجموعات التركيز، تبين أن ٧٨% من الأطفال يشعرون بالأسى والحزن الشديد في بعض الأحيان أو في جميع الأوقات، كما قال جميع الراشدين تقريبًا إن الأطفال صاروا أكثر توترًا أو خوفًا مع استمرار الحرب.



Save the Children

INVISIBLE WOUNDS

The impact of six years of war on the
mental health of Syria's children

التعليم المدمر:

أصبحت العملية التعليمية في سورية مدمرةً بشكلٍ شبه تام في كثير من المناطق السورية، مما يعرّض جيلاً كاملاً من الأطفال ليكونوا أميين غير متعلمين ومعزولين عن غيرهم، وليس لديهم ما لدى غيرهم من الأطفال من الفرص في الحياة العملية، وهذا يضع عقبات كبيرة على المجتمع السوري بعد الحرب Syria's post-war society. من أجل الأطفال بعمر ١٢-١٤ سنة: إن أكثر الأشياء تجعلهم كئيبين وغاضبين لما يتم قصف مدارسهم، أو لما لا يستطيعون الذهاب إلى المدرسة. من أجل الأطفال بعمر ١٥-١٧ سنة: إن أكثر ما يسعدهم ويشعرهم بالأمان هو أن يكون لديهم مدرسة يذهبون لها باستمرار، يشعرون فيها بالأمان، لكي يطمأنوا على مستقبلهم ويحققوا أهدافهم في الحياة. هم لا يستطيعون تخيل مستقبلٍ سعيدٍ لهم دون سلام وأمان وتعليم مناسب. الارتباط ما بين التعليم والمستقبل قوي جداً في ذهنية الأطفال فوق ١٢ سنة في سورية، فالمدرسة تزود الأطفال بمصدر حيوي للأمان والاستقرار والنظام، والمدرسة أساسية لينمو الطفل بشكل طبيعي. فهي تمكّنهم من التفاعل الاجتماعي مع أقرانهم وتنمي لديهم مهارات حلّ المشكلات ومهارات التكيف عموماً، الأمر الذي يخفّض لديهم مستويات القلق والضغط النفسي، ويساعدهم على إدارة الأزمات بطريقة إيجابية وفعّالة. والمهارات السابقة أساسية للطفل لكي يكون أكثر مرونة وصلابة، أي أنها تقوي عامل المرونة في نفس الأطفال children's resilience. وبالتالي يجب تدريب المعلمين على تنميتها عند الأطفال السوريين.

- أظهرت هذه الأبحاث، وهي أوسع وأشمل دراسة من نوعها أجريت داخل سوريا حول صحة الأطفال النفسية ورفاههم في خلال الحرب^٦، حالاتٍ مفاجئة عن أطفال مذعورين من جرّاء القصف والغارات الجوية، وقلقين بشأن المستقبل، ومذهولين لعدم تمكّنهم من الذهاب إلى المدرسة. ونظرًا إلى النقص الحرج على مستوى دعم الصحة النفسية والدعم النفس-اجتماعي في سوريا، وبما أنّ الأهل ومقدمي الرعاية أنفسهم يناضلون للتأقلم، فإنّ غالبية الأطفال الذين تحدّثنا معهم يعانون من علامات الضيق العاطفي الشديد.

- صحيح أنّ الأزمة في حلب قد تصدّرت العناوين في سوريا في الأشهر الأخيرة، إلا أنّ الأطفال في جميع أنحاء البلاد اختبروا صدمةً هائلة. وعلى الرغم من "وقف إطلاق النار" الإسمي المتفق عليه في أواخر العام ٢٠١٦، ما زال المدنيون يواجهون أهوال العنف الشديد يوميًا. ويُقدّر وجود ما لا يقلّ عن ٣ مليون طفل يعيشون في المناطق المعرضة بشكل كبير للأسلحة المتفجرة^٧. وبالإضافة إلى النزاع المستمر، ما زال العنف الذي سبق أن اختبروه يُشعل أتون الكوابيس ويُقلق الحياة اليومية للأطفال.

^٦ اللّطلاع على أبحاث سابقة أخرى، يُرجى مراجعة الهيئة الطبية الدولية (٢٠١٥) معالجة احتياجات ونُغرات الصحة النفسية الإقليمية في سياق الأزمة السورية، <http://internationalmedicalcorps.org/document.doc?id=526> وأبعاد (٢٠١٦) الاحتياجات والقدرات للعاملين/ات في الصحة النفسية في سوريا: التقييم التشاركي السريع، <http://www.abaadmena.org/documents/ebook.1478606836.pdf>

^٧ كُتبت تنسيق الشؤون الإنسانية (٢٠١٧) لمحة عامة عن الاحتياجات الإنسانية - الجمهورية العربية السورية، https://www.humanitarianresponse.info/system/files/documents/files/2017_syria_hno_2.pdf. هناك ٦.٣ مليون شخص يعيشون في هذه المناطق، من بينهم حوالي ٣ ملايين طفل.

- وكلما سُمحَ باستمرار الحرب لفترةٍ أطول، سوف يزداد التأثير الطويل المدى على الأطفال. فقد كشفت الأبحاث التي أجريت من قبل مؤسسة إنقاذ الطفل وشركائنا في سوريا عن نسب إحصائية مرعبة عن الحالة النفسية والعقلية عند الأطفال السوريين، فيما يلي أبرز النسب الإحصائية حسب هذا التقرير...

- ٨٤% من الراشدين وجميع الأطفال تقريباً يعتقدون أنّ التفجير والقصف المتواصل هما السبب الأوّل للضغط النفسي في حياة الأطفال اليومية.
- صرّح ٨٩% من الراشدين أنّ سلوك الأطفال صار مشحوناً أكثر بالخوف والتوتر مع استمرار الحرب.
- ٨٠% قالوا إنّ الأطفال والمراهقين صاروا أكثر عدائيةً، و٧١% قالوا إنّ الأطفال يعانون بشكل متزايد من التبول المتكرّر في أثناء النوم والتبول اللاإرادي – وكلاهما من العوارض الشائعة للضغط النفسي السامّ واضطراب شدة ما بعد الصدمة بين الأطفال.
- يُقال إنّ ثلثي الأطفال فقدوا شخصاً عزيزاً، أو تعرّض منزلهم للتفجير أو القصف، أو عانوا من إصابات مرتبطة بالحرب.
- ٥١% قالوا إنّ المراهقين يلجؤون إلى المخدرات للتأقلم مع الضغط النفسي.
- ٤٨% من الراشدين قد رأوا أطفالاً فقدوا القدرة على الكلام أو ظهر لديهم تلثم في الكلام منذ بداية الحرب.
- 2 من 3 أطفال فقدوا شخصاً يحبونه أو منزلهم بسبب القصف أو الدمار، ٤٩% قالوا إنّ الأطفال يعانون بشكلٍ منظم أو دائم من مشاعر الأسى grief أو الحزن الشديد، و٧٨% تتنبأهم هذه المشاعر في بعض الأحيان على الأقل.
- كل المجموعات أجمعت على أنّ خسارة التعليم يخلف تأثيراً نفسياً هائلاً على حياة الأطفال. إنّ ٥٠% من الأطفال الذين ما زالوا قادرين على الذهاب إلى المدرسة قالوا إنّهم لا يشعرون بالأمان هناك أبداً أو نادراً ما يشعرون به. ٤٠% لا يشعرون بالأمان عندما يلعبون في الخارج، حتّى خارج منزلهم مباشرةً.
- ٥٩% من الراشدين يعلمون عن أطفال ومراهقين تمّ تجنيدهم في الجماعات المسلّحة.
- صرّح نصف الأشخاص الذين جرت مقابلتهم إنّ الإساءة المنزلية domestic abuse قد ازدادت.
- في بعض المناطق التي يزيد عدد سكّانها عن مليون شخص، قال الأشخاص الذين جرت مقابلتهم إنّهم لا يوجد سوى طبيب نفسي متخصص واحد.
- صرّح طفل واحد من أصل كلّ أربعة أطفال إنّهم نادراً ما يجدون أو لا يجدون أبداً مكاناً يقصدونه أو شخصاً يتكلّمون معه عندما يخافون، أو يحزنون، أو ينزعجون.
- صرّح ٧١% إنّ الأطفال يعانون بشكلٍ متزايد من التبول المتكرّر في أثناء النوم ومن التبول اللاإرادي.
- ٤٥% من الأطفال السوريين في تركيا لديهم أعراض اضطراب الكرب بعد الصدمة PTSD، وهي أكثر بـ ١٠ مرات من النسبة العالمية. و٤٤% كآبة والآخرين نوبات صرع واضطرابات في التطور وتأخر في الذكاء^٨.

يقول الخبراء إنّنا نبلغ نقطة الأزمة؛ فإذا لم تنتهِ الحرب قريباً ولم يتلقَ الأطفال الدعم النفسي الذي يحتاجون إليه، سيكون من الأصعب بكثير معالجة الضرر عندما يبلغون سنّ الرشد.^٩

^٨، كالتأخر الفكري واضطرابات special needs children في هذا الكتاب لم يتم تغطية واقع الأطفال السوريين ذوي الاحتياجات الخاصة طيف التوحد وصعوبات التعلم، وماهية الخدمات المقدمة لهذه الفئة في ظل الثورة والحرب، فهي تحتاج إلى تغطية خاصة شاملة، أتمنى أن أحظى بشرف خدمة تلك الفئة في المستقبل القريب، وأدعو الزملاء المختصين والمهتمين إلى التعاون في ذلك. (المؤلف)

^٩ من أجل إعداد هذا التقرير، تحدّث موظفو مؤسسة إنقاذ الطفل وشركاؤها مع ٤٥٨ طفلاً، ومراهقاً، وراشداً داخل سبع من محافظات سوريا البالغ عددها ١٤ – فهذه أوسع وأشمل دراسة أجريت حول صحّة الأطفال النفسية ورفاههم داخل سوريا في خلال النزاع. أجريت الأبحاث بين كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠١٦ وشباط/فبراير ٢٠١٧ وتألّفت من :

زينب، ١٢ سنة، في مخيم للنازحين في الحسكة شمال شرق سوريا: "عندما أتت الحرب، نسي جميع الأطفال السوريين كل ما تعلموه وبتوا لا يعرفون الآن سوى الحرب. أشعر أنني رأيت الكثير من الأمور الفظيعة. وفاتني عامان دراسيان، كما أن أخي كبير وبالكَاد تعلم. فماذا لو تقدّمت في السنّ واستمرّيت على هذا المسار نفسه وخسرت مستقبلتي كلّهُ؟"

- بصيص من أمل:

على الرغم من أنّ الأفق يبدو قاتمًا، إلا أنّ الأوان لم يُفْت بعد. فبالإضافة إلى الفطائع والمعاناة، وجدت الأبحاث بصيصًا من الأمل. فأطفال سوريا قادرون على التكيف بشكلٍ مدهل. وما اتّضح في الأبحاث هو ما يلي: على الرغم من كلّ ما يمرّ به الأطفال، ما زال الكثير منهم يحملون بمستقبل أفضل، بأن يصبحوا أطباءً ومعلمين قادرين على المساهمة في بناء سوريا السلمية والمزدهرة. وجلّ ما يريدونه هو الفرصة للقيام بذلك. وبما أنّ الكثير من الأطفال ما زالوا يُظهرون مجموعةً من الأحاسيس ولم يصبحوا بعد مشلولي العواطف أمام العنف المحيط بهم، وما زالوا يبحثون بشكلٍ ناشط عن الدعم من عائلتهم وشبكاتهم الاجتماعية، فهذا يدلّ على أنّنا لم نتجاوز بعد نقطة اللاعودة.

"عندما أرى الطيارة تقصف وأر الناس يموتون، يأتيني شعور بأنّي أريد أن أمسك الطيارة بيدي وأسقطها على الأرض" خليل ١٥-١٧ سنة من جنوب حلب

إذا تمّ توفير الدعم المناسب الآن، فقد يكونون قادرين على التعافي. والبرامج التي تقدّم دعم الصحة النفسية والدعم النفس-اجتماعي قد أظهرت نتائج لافتة، ويمكن لا بل يجب توسيعها إلى حدّ كبير على نطاق البلد ككلّ. والقيام بذلك سوف يستدعي التمويل الكافي، والوصول المناسب إلى المساعدات الإنسانية، والتزامًا عالميًا جديدًا إزاء أطفال سوريا. في نهاية المطاف، يحتاج الأطفال إلى إيقاف السبب الرئيسي لضغطهم النفسي السامّ – العنف الذي ينهال باستمرار على قرى سوريا ومدنها من دون رقيب أو حسيب.

مع وضع حدّ للعنف، وتأمين الدعم المناسب، والتدخلات المبكرة، يستطيع الأطفال التعافي من التجارب الصدمية. لكنّ أزمة صحّة الطفل النفسية أوشكت أن تصل إلى نقطة اللاعودة في سوريا، في موازاة انهيار هيكلية الدعم العائلية والخدمات الرسمية.

313 استبيانًا فرديًا، شملت ١٥٤ مرافقًا تتراوح أعمارهم بين ١٣ و ١٧ سنة (٥٩ فتاة، ٩٥ فتى) و ١٥٩ شخصًا من الأهالي ومقدمي الرعاية الراشدين (٦١ امرأة، ٩٨ رجل). 17 مجموعة تركيز ضمت ١٢٥ طفلًا (٥٦ فتاة، ٦٩ فتى) مورّعين على أربع فئات عمرية: ٥-٧، ٨-١١، ١٢-١٤، ١٥-١٧ سنة. أما الأعمار الأكبر سنًا فقسّمت إلى مجموعات للفتيات وأخرى للفتيان. مقابلات مفصلة مع ٢٠ شخصًا من عاملين نفس-اجتماعيين، وأطفال، وعاملي إغاثة، ومعلمين، وأهال، وعلماء نفس. أجريت الأبحاث مع أخصائيين متدرّبين قدموا أيضًا الإسعافات الأولية النفس-اجتماعية للأطفال المعنيين. حصل ذلك في عدّة مواقع في حلب، ودمشق، ودرعا، والحسكة، وحمص، وإدلب، وريف دمشق، مع مقابلات إضافية مع خبراء متواجدين في بلدان مجاورة لسوريا. تقدّم مؤسسة إنقاذ الطفل دعم الصحة النفسية والدعم النفس-اجتماعي والنشاطات التربوية للأطفال عبر ١٠ محافظات من سوريا، وكذلك في البلدان التي تستضيف اللاجئين السوريين. إنّ مقاربتنا لبرامج دعم الصحة النفسية والدعم النفس-اجتماعي تشمل "HEART" الشفاء والتربية من خلال الفنون للأطفال) وقدرة الطفل على التكيف (Child Resilience)، وهي تتبع المبادئ التوجيهية للجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات حول برامج الصحة النفسية والبرامج النفس-اجتماعية. علاوةً على ذلك، تقوم مؤسسة إنقاذ الأطفال بدعم سبعة مرافق للرعاية الصحية الأولية ومستشفى للولادة، كما تجري حملات التلقيح، وتوزع المواد المنزلية، ورزم النظافة الشخصية، ورزم اللوازم الشتائية، من بين نشاطات أخرى في سوريا. وقد بلغت برامجنا لغاية الآن أكثر من ٢.٤ مليون شخص داخل سوريا، من بينهم ما يزيد عن ١.٥ مليون طفل.

وبما أنّ الراشدين أنفسهم يعانون الضغط النفسي الشديد ويجاهدون للتأقلم، فقد قال طفلٌ واحد من أصل كلّ أربعة أطفال جرت مقابلتهم إنهم نادراً ما يجدون أو لا يجدون أبداً مكاناً يقصدونه أو شخصاً يتكلّمون معه عندما يخافون، أو يحزنون، أو ينزعجون.

وقد فرّ من البلد عددٌ كبيرٌ من الأطباء والأخصائيين، وبسبب التفجيرات اللامتناهية والعواقب التي تعترض عمال الإغاثة وتمنعهم من الوصول إلى أكثر المناطق تضرراً، يتوفّر القليل من خدمات الصحّة النفسية الرسمية. وفي حال وُجِدَت، غالباً ما يمتنع الناس من الوصول إليها بسبب الوصمة الاجتماعية.

د. مارسيا بروفي **Dr Marcia Brophy**، مستشارة رفيعة المستوى لدى مؤسسة إنقاذ الطفل لمنطقة الشرق الأوسط بشأن دعم الصحّة النفسية والدعم النفس-اجتماعي: "إننا مقصرون بحق الأطفال داخل سوريا، فبعضهم يُتركون للتأقلم مع تجارب مؤلمة، بدءاً بروية أهلهم وهم يُقتلون أمامهم، وصولاً إلى أهوال الحياة في ظلّ الحصار، من دون الدعم المناسب. إننا نخطر بالحكم على جيلٍ من الأطفال بحياةٍ مليئةٍ بالمشكلات الصحّة النفسية والجسدية – فعلياً أن نكفل للأطفال الذين سبق أن خسروا ستّ سنواتٍ من حياتهم من جرّاء الحرب، ألا يضطروا إلى خسارة مستقبلهم كلّهُ أيضاً." "إن معظم الأطفال الذين تحدّثنا معهم يعانون من علاماتٍ شديدةٍ للضغط العاطفي. وإن التعرض المطول للحرب والضغط و حالة الضياع وعدم معرفة المستقبل **Uncertainly** يعني أن العديد من الأطفال في حالة ضغط نفسي سمي"

في نهاية المطاف، إنّ الطريقة الوحيدة للبدء بإبطال الضرر اللاحق بالأطفال تتمثّل في وضع حدّ للسبب الجذري لضيقهم – العنف المستمرّ في سوريا، لا سيّما الغارات الجوية والقصف اللذين برزا بقوة في التقرير باعتبارهما السبب الرئيسي لمسائل الصحّة النفسية لدى الطفل.

قال مؤسسة إنقاذ الأطفال: "ما تظهره هذه الأبحاث هو أنّنا نشهد أزمة صحّة نفسية لدى الأطفال ناجمة عن ستّ سنواتٍ من الحرب في سوريا. فالأطفال يضطربون عندما يسمعون صوتاً قوياً، ويخشون اللعب في الخارج، ويخافون من الذهاب إلى المدرسة إنّما يقلقون من خسارة مستقبلهم إذا لم يتعلّموا." "إنّها مأساة لا يمكن السماح باستمرارها – نستطيع وضع حدّ للضغط النفسي السامّ الذي يعانيه الكثير من الأطفال من خلال وقف قصف المناطق المدنية وتزويد الجميع بإغاثةٍ تنقذ حياتهم وكذلك بالدعم النفسي."

لا بدّ إداً من اتّخاذ الخطوات الملحة التالية لتجنّب جيلٍ من الأطفال السوريين أسوأ آثار الضغط النفسي وللحدّ من خطر التأثيرات الطويلة المدى:

- ينبغي أن يقوم المجتمع الدولي بالتزام عالمي جديد بدعم صحّة الأطفال النفسية ورفاههم في حالات الطوارئ، مع الإقرار بالضرر الطويل الأمد الذي سيلحق بجيلٍ من الأطفال في سوريا في حال عدم وجود الدعم المناسب. يشمل ذلك تأمين التمويل الكافي لبرامج الصحّة النفسية والبرامج النفس-اجتماعية في السياقات الإنسانية وضمان أن تصبح تدخّلاً برامجياً أساسياً في حالات الطوارئ.
- يتعيّن على أطراف النزاع العمل فوراً على وقف جميع الهجمات ضدّ المدنيين، والامتناع عن استخدام الأسلحة المتفجّرة مع آثار واسعة النطاق في المناطق المأهولة. يجب أن تلتزم هذه الأطراف بوضع حدّ لتجنيد واستخدام الأطفال، والتوقّف عن استخدام الحصار كتكتيك، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية بشكلٍ كامل وبدون عوائق، وحرية تحرك المدنيين ...
- يجب أن يطلب مجلس الأمن من أطراف النزاع الامتثال الكامل لقرارات المجلس ذات الصلة، والإصرار على أن تتفق على حدّ أدنى من التدابير لضمان حماية وسلامة الأطفال في سوريا. ويشمل ذلك عدم استهداف المدارس أو المستشفيات، والامتناع عن تجنيد واستخدام الأطفال، وعدم استخدام الأسلحة المتفجّرة ذات الآثار الواسعة النطاق في المناطق المأهولة، وتمكين وصول المساعدات الإنسانية بشكلٍ كامل.
- يجب على الجهات المانحة زيادة الاستثمارات في البرامج التي تدعم قدرة الأطفال على التكيف ورفاههم *children resilience and wellbeing*، وتزويدهم بفرصة للحديث عن التعامل مع مخاوفهم. وينبغي أيضاً توفير الفرص لتدريب المعلّمين وعاملي الصحّة المجتمعية المعنيين بالصحّة النفسية للأطفال، ودعم الأهل الذين يناضلون في ظروف صعبة للغاية بحيث يكونون أكثر قدرةً على مساعدة أطفالهم على التأقلم.